وفيها توفي الحسن[١] بن أحمد[٢] بن حِكّينا[٣]، من أهل الحريم الظَّاهري، كان فاضلاً، ومن شِعْره:

قد بانَ لي عُذْرُ الكرامِ فَصَدُّهُمْ عن أكثر الشُّعراءِ ليس بعارِ
لم يسأموا بَذْلَ النَّوالِ وإنَّما جَمَدَ النَّدى لبرودَةِ الأَشْعارِ

وفيها توفي شمس الدين بن البَعْلَبكي، والد المجد، وكان قاضي الفتيان بدمشق في العشرين من صفر، وهو الذي بُعِثَ إلى مصر ليشدَّ الكامل فتوةً للخليفة لمَّا جاءَ مِنْ بغداد الأمرُ بذلك.

وفيها توفي شمس الدين سلام بن سلام، والد إسماعيل وإسحاق الشَّاهد بدمشق حادي عشر ربيع الآخر.

ثم دخلتْ سنةُ سبعٍ وستِّ مئة

فوصل الحجاج إلى دمشق صُحْبة ابنِ محارب ثاني صَفَر.

---

(١) وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة (٦٠٦ هـ)، متابعاً في ذلك سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، وكان السبط قد اضطرب في تاريخ وفاته، فقد ذكره كذلك في وفيات سنة (٥٠٥ هـ)، والصواب أنه توفي سنة (٥٢٨ هـ)، فيما ذكر أكثر من ترجم له، وتردد العماد في «شذرات الذهب»: ٤/ ٨٨ بين سنة (٥٢٨ هـ)، و(٥٢٩ هـ).

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٢٣٠ ـ ٢٤٨، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢٠٨ ـ ٢١٠، الوافي بالوفيات: ١١/ ٣٨٧ ـ ٣٩١، فوات الوفيات: ١/ ٣١٩ ـ ٣٢١، شذرات الذهب: ٦/ ١٩٧، ووهم ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٧ فترجم له في وفيات سنة (٦٠٦ هـ)، متابعاً كذلك سبط ابن الجوزي.

(٣) اختلفت مصادر ترجمته في رسم اسمه بين جكينا ـ بالجيم أو بالحاء المهملة ـ فقد قيده ابن خلكان بالجيم فيما ذكره د. إحسان عباس في تعليقه على «وفيات الأعيان»: ٧/ ٢٢٤، وقيده الزبيدي في مستدركاته في «تاج العروس» (حكن) ـ بالحاء المهملة، وقال: حكينا: بكسرتين مشددة الكاف، لقب، وابن حكّينا شاعر معروف. وإلى هذا الرسم مال العلامة محمد بهجة الأثري في تعليقه على «الخريدة».

وفيها أظهر الخليفةُ الإجازةَ التي أُخذت له من الشيوخ، وذكرهم في كتاب «روح العارفين»، ودفع إلى أهل كلِّ مذهب إجازةً عليها مكتوباً بخطِّه: أَجَزْنا لهم ما سألوا على شَرْط الإجازة الصَّحيحة، وكتب العبدُ الفقير إلى الله تعالى أبو العباس أحمد أمير المؤمنين. وسُلِّمَتْ إجازةُ أصحابِ الشَّافعي إلى ضياء الدِّين عبد الوهَّاب ابنِ سُكَيْنة، وإجازة أصحاب أبي حنيفة إلى الضِّياء أحمد بن مسعود التركستاني، وإجازة أصحاب أحمد إلى أبي صالح نصر بن عبد الرَّزَّاق بن الشيخ عبد القادر، وإجازة أصحاب مالك إلى التَّقي علي بن جابر التَّاجر المغربي.

قال أبو المظفر سِبْط بن الجوزي: وفيها خرجتُ من دمشق إلى نابُلُس بنية الغَزَاة، وكان الملك المُعَظَّم عيسى رحمه الله بها، جلستُ بجامع دمشق يوم السبت خامس ربيع الأول، وكان النَّاسُ من باب المشهد الذي لزين العابدين إلى باب النَّاطفانيين، وإلى باب السَّاعات[1]، وكان القيام في الصَّحْن أكثر؛ بحيثُ امتلأ جامع دمشق، وحزروا بثلاثين ألفاً، وكان يوماً لم يُرَ بدمشق مثله ولا بغيرها، وكان قد اجتمع عندي شعورٌ كثيرة، يعني التي كان يقطعها من رؤوس التائبين[2].

قال: وقد وقفتُ على حكاية أبي قُدَامة الشَّامي مع تلك المرأة التي قَطَعَتْ شَعْرَها، وبعثَتْ به إليه، وقالت: اجعله قيداً لفرسك في سبيل الله. قال: فعملتُ من الشعور التي اجتمعتْ عندي شُكُلاً لخيل المجاهدين وكرفسارات[3]، ولما صَعِدْتُ المنبر أمرتُ بإحضارها، فحُملت على أعناق

(١) باب الناطفانيين: هو الباب الشمالي للجامع، وباب السَّاعات: هو باب جيرون، وهو الباب الشرقي للجامع، انظر «رحلة ابن جبير»: ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٢) انظر حاشيتنا رقم (١) ص ١٦٢ من هذا الجزء.

(٣) الشُّكُلْ جمع، مفردها الشِّكال: العِقال. «اللسان» (شكل). وكرفسارات: بمعنى رسن الدابة، وهي كلمة فارسية، انظر «المعجم الذهبي»: ٤٣٤.

الرجال، وكانت ثلاثة مئة شِكال، فلما رآها النَّاسُ صاحوا صيحةً عظيمة، وقطعوا مِثْلَها، وقامتِ القيامة. وكان المبارز المعتمد إبراهيم رحمه الله، والي دمشق حاضراً، فقام وجَمَعَ الأعيان، فلما نزلتُ من المنبر قام المبارز يُطَرِّقُ لي، ويمشي بين يدي إلى باب الناطفانيين، فيقدم لي فرسي، فأمسك بركابي، وأركبني، وخَرَجْنا من باب الفَرَج إلى المصلَّى، وجميع مَنْ كان بالجامع بين ٧٠ يدي، وسرنا من الغد إلى الكُسْوة، ومعنا خَلْقٌ مثل التراب، وكان معنا من قريةٍ واحدة يقال لها زَمْلكا نحو من ثلاث مئة رجل بالعُدَد والسِّلاح، وأما من غيرِهم فَخَلْقٌ كثير، والكل خرجوا احتساباً، وجئنا إلى عقبة فيق، والطير لا تقدر تطير من خوف الفرنج، فسرنا على الجادَّة إلى نابُلُس، ووصلتْ أخبارُنا إلى عكا، وخرج المُعَظَّم فالتقانا، وسُرَّ بنا، وجلستُ بجامع نابُلُس، وحضر وأحضرنا الشعور، فأخذها، وجعلها على وجهه، وجعل يبكي، وكان يوماً عظيماً.

قال: ولم أكن اجتمعتُ به قبل ذلك اليوم، وخدَمَنا وأكرَمَنا، وخَرَجْنا إلى نحو بلاد الفرنج، فأخْرَبنا وهَدَمْنا، وقطعنا أشجارهم، وأسرنا جماعةً، وقتل جماعة، ولم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا، فأقمنا أياماً، ثم عُدْنا سالمين غانمين إلى الطور المطل على النَّاصرة، والمُعَظَّم معنا، فقال: أريدُ أن أبني عليه قلعةً، وطلب أخاه الملكَ الأشرفَ وعساكرَ الشَّرْقِ وحلب، وشَرَعَ في عمارة الطور، وأقام العسكر تحته من ذي الحِجَّة هذه السنة إلى آخر سنة ثمانٍ وست مئة، فكمل سوره ودار واستوى، وخاف الفرنج، فأرسلوا إلى العادل، فصالحهم، وأعطى العساكر دستوراً، فتفرَّقوا، وأقام المُعَظَّم يعمر الطور إلى قبيل وفاة العادل، فلا يُحصى ما غَرِمَ عليه[1].

وحج بالنَّاسِ من الشَّام سيف الدين علي بن عَلَم الدين سليمان بن جَنْدَر، وكان قَدِمَ من حلب لذلك، واحتفل النَّاس له.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٧ هـ).

وفيها توفي صاحبُ المَوْصِل نور الدين أرسلان[١] بن عِزِّ الدين مسعود بن قُطْب الدين مودود بن زَنْكي في رجب، وقيل في صَفَر.

قال أبو المُظَفَّر: وكان متكبراً، جباراً، بخيلاً، فاتكاً، سفَّاكاً للدماء؛ حبس أخاه علاء الدين، فمات في حبسه، وولَّى المَوْصِل رجلاً ظالماً يقال له السَّرَّاج، فأهلك الحَرْثَ والنَّسْل[٢].

وفيها توفي أبو محمد، عبد الوهَّاب بن علي بن علي الصُّوفي، المعروف بابن سُكَيْنة، ولقبه ضياء الدين[٣].

ولد سنة تسع عشرة وخمس مئة، وقرأ القرآن على الشيخ أبي محمد المقرئ شيخ تاج الدين الكِنْدي، وسَمِعَ الحديثَ الكثير، وكان صديق أبي الفرج بن

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢١٠، بغية الطلب: ٣/ ١٣٤٥ ـ ١٣٤٧، وفيات الأعيان: ١/ ١٩٣ ـ ١٩٤، مفرج الكروب: ٣/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٣، تاريخ الإسلام (ت ٣٣٢، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧، العبر للذهبي: ٥/ ٢١، الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٤١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٠٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠٠، شذرات الذهب: ٥/ ٢٤.

(٢) «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٩٥، ذيل تاريخ بغداد: ١/ ٣٥٤ ـ ٣٦٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢، تاريخ الإسلام (ت ٣٥٥، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٢ ـ ٥٠٥، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١٣١ ـ ١١٣٤، العبر للذهبي: ٥/ ٢٣ ـ ٢٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٥٨ ـ ٥٩، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٠٩ ـ ٣١١ (وفيه وفاته سنة ٦٠٩ هـ، وهو خطأ)، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٦٠ ـ ٦١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، غاية النهاية: ١/ ٤٨٠، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/ ٧٣ ـ ٧٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠١، شذرات الذهب: ٥/ ٢٥ ـ ٢٦.

وكناه سبط ابن الجوزي في «المرآة» أبا محمد، وتابعه أبو شامة وابن كثير، وابن تغري بردي، أما في بقية المصادر فكنيته أبو أحمد.

الجوزي، ملازماً لمجالسه ويزوره، وسأله أبو الفرج لما عاد من واسط أَنْ يُلْبِسَ ابنه يوسف خِرْقة التصوُّف، فألبسه إياها بقَطُفْتا، وكانت وفاته في ربيع الآخر، وقد قارب تسعين سنة، وصُلِّي عليه بجامع القَصْر، وكان يوماً مشهوداً، حضره أربابُ الدولة، ودُفِنَ عند باب جامع القَصْر إلى جانب رباط الزَّوْزني.

وذكره محمد بن الدَّبيثي في «ذيله»، وقال: هو سِبْطُ شيخ الشُّيوخ أبي البركات إسماعيل بن أحمد النَّيْسابوري، رافق أبا سَعْد ابن السَّمْعاني ببغداد، وسمع من قاضي المارَسْتان، وابن الحُصَيْن، وأبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وأبي البركات الأنماطي، وجدِّه لأُمه شيخ الشيوخ إسماعيل، وزاهر بن طاهر الشَّحَّامي، وأبي الفَتْح الكَرُوخي، وأبي الوقت، وغيرهم، وحدَّثَ ببغداد، والشَّام، ومِصْر، ومكة، والمدينة، وغيرِها، وكان من الأبدال[1].

وفيها توفي ببغداد أبو حفص، عمر بن محمد بن المعمر بن يحيى، المعروف بابنِ طَبَرْزَد الدَّارَقَزِّي[2].

قال أبو المظفر: ولد في ذي الحِجَّة سنة [خمس عشرة] وخمس مئة[3]، وسمع حديثاً كثيراً من أبي غالب بن البناء، وأبي الحسن بن الزَّاغوني، وأبوي

(١) انظر «المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٩٥، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، وفيات الأعيان: ٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣، مشيخة ابن البخاري: ٧٢ ـ ١١٢، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٧ ـ ٥١٢، تاريخ الإسلام (ت ٣٥٨، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، ميزان الاعتدال: ٣/ ٢٢٣، العبر للذهبي: ٥/ ٢٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٠٦ ـ ١٠٧، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٣٦٨ ـ ٣٧٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، لسان الميزان: ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣، شذرات الذهب: ٥/ ٢٦.

(٣) في النسخ الخطية: سنة عشر وخمس مئة، وما بين حاصرتين من «مرآة الزمان»، والصحيح في ولادته أنها في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمس مئة.

القاسم ابن الحُصَيْن، وابن السَّمَرْقَنْدِي، وقاضي المارَسْتان، وأبي الوقت وغيرهم، وكان معلِّماً للصبيان بدار القَزّ ببغداد، وكان خليعاً ماجناً، وسافر مع حَنْبل إلى الشَّام، [وحَصَلَ له مالٌ بسبب الحديث، وعاد مع حنبل إلى بغداد][1]، فأقام حنبل يعمل له تجارة، فتوفي في سنة ثلاثٍ وست مئة، فسلك طريق حنبل في استعمال الكاغَد والعَتَّابي، فمرِضَ مُدَّة، ثم توفي، ودُفِنَ بباب ٧١
حَرْب، ولم يكن له وراثٌ، فرجع المال إلى بيت المال[2][3].

وفيها توفي الشيخ، أبو عمر[4]، شيخ الصَّالحية والمقادسة، الزاهد العابد، واسمه محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة، أخو الشَّيخ المُوَفَّق.

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) في (ك) و(ع) و(س) والمطبوع زيادة من قارئ، وهي: وجدت بخط الحافظ عبد العظيم المنذري أن الشيخ أبا عمر المذكور توفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول من السنة ـ رحمهما الله تعالى ـ ودفن بجبل قاسيون.
وفي (ب): وجدت بخط، ثم ضرب عليهما ناسخها، والدليل على أنها ليست من كلام أبي شامة إيرادها قبل ترجمة أبي عمر، مما يدل على أنها كانت في الهامش، وأضافها الناسخ إلى المتن، ولم يختر لها المكان المناسب!
ثم إن هذا القارئ قد كتب حاشية مماثلة لهذه نقلاً عن المنذري، وضمَّنها ردَّه على أبي شامة، وذلك ص ٣٣٤ من هذا الجزء.
وقد تنبه لهذه الزيادة العلامة مصطفى جواد في نقده للمطبوع في «مجلة مجمع اللغة العربية»: مجلد ٢٣/ ٦٢٦، وانظر تعليقه كذلك في «المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٠٦، حاشية رقم (٥).

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣، مشيخة ابن البخاري: ٥٢ ـ ٥٨، تاريخ الإسلام (ت ٣٦١، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٥ ـ ٩، العبر للذهبي: ٥/ ٢٥، الوافي بالوفيات: ٢/ ١١٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٥٢ ـ ٦١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٢، المقصد الأرشد: ٢/ ٣٤٦، الدارس: ٢/ ٤٣٧، المنهج الأحمد: ٤/ ٨٣ ـ ٩١، القلائد الجوهرية: ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، شذرات الذهب: ٥/ ٢٧ ـ ٣٠.
ولابن أُخته المحدث الشيخ ضياء الدين المقدسي جزء في سيرته ومناقبه في المكتبة الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع ٨٣، الورقة ٣٩ ـ ٤٣).

ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة بقرية السَّاويا من أعمال نابُلُس، وقيل بجَمَّاعيل.

قال أبو المظفر: حدَّثني أبو عمر، قال: هاجَرْنا من بلادنا، فنزلنا بمسجد أبي صالح[١] بباب شَرْقي، فأقمنا به مُدَّة، ثم انتقلنا إلى الجبل، فقال النَّاس: الصَّالحية. الصَّالحية، نسبونا إلى مسجد أبي صالح لا أننا صالحون[٢].

قال: ولم يكن بالجبل عِمَارة إلا ديرُ الحوراني، وأماكنُ يسيرة[٣].

قال أبو المُظَفَّر: وكان معتدلَ القامة، حسنَ الوجه، عليه أنوارُ العِبادة، لا يزال مُبْتسماً، نحيلَ الجسم من كثرة الصِّيام والقيام، قرأ القرآن العظيم بحرف أبي عمرو، وحفظ مختصر الخِرَقي في الفِقْه، وقرأ النحو على ابن بَرِّي بمصر، وسمع الحديثَ بدمشق ومِصْر.

واشتغل بالعبادة عن الرِّواية، وكَتَبَ «الحِلْية» لأبي نُعَيْم، و«تفسير» البَغَوي، و«المغني» لأخيه الموفَّق، و«الإبانة» لابنِ بَطَّة، ومصاحفَ كثيرة للنَّاس ولأهله، وكتُباً كثيرةً، والكلُّ بغير أُجْرة.

وكان يصومُ الدَّهْر إلا من عُذْرٍ، ويقوم اللَّيل من صِغَره، ويحافظُ على الصَّلوات في الجماعات، ويخرُجُ من ثُلُثِ اللَّيل الأخير إلى المسجد في الظُّلْمة، فيصلي إلى الفَجْر، ويقرأ في كلِّ يوم سُبُعاً من القرآن بين الظهر والعَصْر، ويقرأ بعد العشاء الآخرة آيات الحَرْس[٤]، ويسن، وتبارك، والواقعة،

---

(١) أبو صالح: هو مفلح بن عبد الله، وكان زاهداً عابداً، وكان مقيماً في هذا المسجد فنسب إليه، وتوفي سنة (٣٣٠ هـ)، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٨٤ ـ ٨٥ بتحقيقي.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) المصدر السالف.

(٤) هي آيات الحِفْظ، مثل آية الكرسي، والآيتين من آخر سورة البقرة.. إلخ. أفادنيها شيخي العلامة شعيب الأرنؤوط، أمتع الله به.

والمعوِّذتين، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وإذا ارتفعتِ الشمسُ لقَّن النَّاسَ القُرْآن إلى وقتِ الضُّحى، ثم يقوم فيصلي الضُّحى ثماني ركعات، ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألفَ مَرَّة، ويزورُ المقابر بعد العَصْر في كلِّ يوم جُمُعة، ويصعَدُ يوم الاثنين والخميس إلى مغارة الدَّم ماشياً بالقَبْقاب، فيصلي فيها ما بين الظهر والعصر.

وإذا نَزَلَ جمع الشِّيْحَ من الجبل، وربطهُ بحبل، وحملَه إلى بيوتِ الأرامل واليتامى، ويحمل في الليل إليهم الدَّراهم والدَّقيق ولا يعرفونه، ولا ينامُ إلا على طهارةٍ، ومتى فُتِحَ له بشيء من الدُّنيا آثَرَ به أقاربه وغَيرَهُمْ، ويتصدَّق بثيابه، وربما خَرَجَ الشِّتاء، وعلى جسدِهِ جُبَّة بغير ثوب، ويبقى مُدَّة طويلة بغير سراويل، وعِمامته قطعة من بطانة، فإن احتاج أحدٌ إلى خِرْقةٍ، أو ماتَ صغيرٌ يحتاج إلى كَفَنٍ، قَطَعَ له منها قِطعة.

وكان ينام على الحصير، ويأكل خُبْزَ الشَّعير، وثوبه خام إلى أنصافِ ساقيه، وما نَهَر أحداً، ولا أَوْجَعَ قلبَ أحد، وكان يقول: أنا زاهد، ولكن في الحرام.

ولما نزلَ صلاحُ الدِّين على القُدْس كان هو وأخوه الموفق والجماعة في خيمةٍ[1]، فجاء العادلُ إلى زيارته وهو في الصَّلاة، فما قَطَعها ولا التفتَ، ولا تَرَكَ وِرْده.

وكان يصعَدُ المِنْبر في الجبل، وعليه ثوبٌ خام، مهدول الجيب، وفي يده عصا، والمنبر يومئذٍ ثلاث مراقي، وكان يجاهد في سبيل الله، ويحضُرُ الغَزَوات مع صلاح الدِّين.

وكان أخوه الموفَّق يقول عنه: هو شيخُنا، ربَّانا، وأحسن إلينا، وعَلَّمنا،

(١) انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢٩٧.

وحَرِصَ علينا، وكان للجماعةِ كالوالد يقومُ بمصالحهم، ومَنْ غابَ منهم خَلَفَه في أهله. قال: وكان أبي أحمد[١] قد تخلَّى عن أمور الدُّنيا وهمومها، وكان المَرْجِعُ في مصالح الأهل إليه، وهو الذي هاجر بنا، وسَفَّرنا إلى بغداد، وبنى الدَّير، ولما رجعنا من بغداد زوَّجنا، وبنى لنا دوراً خارجةً عن الدير، وكفانا هموم الدُّنيا، وكان يُؤْثرنا ويَدَعُ أهلَه محتاجين، وبنى المدرسةَ والمَصْنَع بعلو هِمَّته، وكان مجابَ الدَّعوة، وما كَتَبَ لأحدٍ ورقةً للحُمَّى إلا وشفاه الله تعالى.

٧٢ وكراماتُه كثيرة، وفضائِلُهُ غزيرة، فمنها، أنني صَلَّيْتُ يومَ جُمُعةٍ بجامع الجبل في أول سنة ستٍّ وست مئة، والشيخُ عبد الله اليوناني[٢] إلى جانبي، فلما كان في آخر الخطبة وأبو عمر يخطب نهض الشَّيخُ عبد الله مُسْرعاً، وصَعِدَ إلى مغارة التوبة، وكان نازلاً بها، فظننتُ أنه قد احتاج إلى الوضوء أو آلمه شيء، فلما صلَّينا الجمعة صَعِدْتُ وراءه، وقلت له: خير، ما الذي أصابك؟ فقال: هذا أبو عمر ما تَحِلَّ خَلْفه صلاة. قلتُ: ولِمَ؟ قال: لأنَّه يقول على المِنْبر ما لا يَصْلُح. قلتُ: وما الذي قال؟ قال: الملك العادل، وهو ظالم، فما يَصْدُق. وكان أبو عمر يقول في آخر الخطبة: اللهم، وأَصْلِحْ عبدَك الملِكَ العادِلَ سيفَ الدين أبا بكر بنَ أيوب. فقلتُ له: إذا كانتِ الصَّلاة خَلْفَ أبي عمر لا تصح، فيا ليتَ شِعْري خَلْفَ مَنْ تَصِح؟ وخَطَرَ لي قولُ عبدِ الرحمن بنِ عَوْف لما رأى عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنهما يمشي في أَزِقَّة المدينة، فتبعه، فأتى إلى بيتِ عجوزٍ، فدخله، قال: فقلتُ: لأُبْصِرَنَّ ما يَصْنَع. فتواريتُ، وإذا به قد خَرَجَ من عندها، فدخلتُ بعده، وقلت للعجوز: ما كان هذا يصنع عندك؟ فقالت: يحمل إليَّ ما آكل، ويخرج الأذى عني. قال عبدُ الرحمن: فقلت في نفسي: ويحك يا عبدَ الرحمن، أعثرات عمر تتبع؟![٣]

---

(١) في المطبوع: أبي عمر، وهو تحريف شنيع، والقائل: هو الموفق.

(٢) ويقال: اليونيني، وستأتي ترجمته ص ٣٣٦ (وفيات سنة ٦١٧ هـ) من هذا الجزء.

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

قال أبو المظفر: وبينا نحن في الحديث، وإذا بالشيخ أبي عمر قد صَعِدَ إلى مغارة توبة، فدخل ومعه مئزر، فسلَّم، وحَلَّ المئزر، وفيه رغيفٌ، وخيارتان، فكسر الجميع، وقال: بسم الله، الصَّلاة ثم قال: ابتداءً قد جاء في الحديث أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ولدتُ في زمن الملك العادل كسرى[1]»، فنظر إليَّ الشيخ عبدُ الله وتَبَسَّم، ومدَّ يده فأكل، وقام أبو عمر فنزل. فقال لي عبدُ الله: يا سيِّد، ماذا إلَّا رَجُلٌ صالح[2].

قلتُ: الشيخُ عبدُ الله اليونيني كان أيضاً من الصَّالحين، وقد رأيته، وسيأتي ذكره في أخبار سنة سبع عشرة بعد عشر سنين من وفاة الشَّيخ أبي عمر، وهو لفَرْطِ صلاحه وورعه ما رأى مسامحة مثل الشيخ أبي عمر في إطلاق لفظ العادل على مَنْ هو في ظَنِّه غيرُ مستحقِّه، وعُذْر الشيخ أبي عمر في ذلك أنه اسم من الأسماء الأعلام لا تلحظ فيه الصِّفة، فهو كالتسمية بسالم، وغانم، ومحمود، ومسعود، يُعَبِّر عن المسمَّى بذلك في حالةٍ يكون متصفاً بضد ما يقتضيه اشتقاق هذه الأسماء، فيكون عاطباً ولا يُدْعى إلا بسالم، ومذموماً ولا يدعى إلا بمحمود، تعريفاً لا مَدْحاً، فكذا إطلاق لفظ العادل في حقِّ مَنْ أطلقه فيه الشيخ أبو عمر، على أَنَّه قد اعتذَرَ بعُذْرٍ آخر، وهو إطلاق هذا اللفظ على كافرٍ، ولا ظُلْمَ أعظم من الشِّرْك بالله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3] وقال: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[4] أي: بشِرْك، فإذا لم يمنع الشرك المحقَّق

(١) حديث لا أصل له، وأورده السخاوي في «فتح المغيث» ٣/٣٦، وابن كثير في «البداية والنهاية» في ترجمة أبي عمر في وفيات سنة (٦٠٧ هـ)، وقال: هذا الحديث الذي احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة، وعجباً له ولأبي المظفر ثم لأبي شامة في قبول مثل هذا، وأخذه منه مسلماً إليه فيه، والله أعلم.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

من إطلاق لفظ العادل على من اتَّصفَ به، فأنْ لا يمنع ظلمٌ ما في شيءٍ من الأشياء التي دون الشرك أوْلى.

بقي في قضية الشيخ عبد الله إشكال من جهة كونه تركَ صلاةَ الجمعة[1] الواجبة لما تخيَّله من هذا الأمر الذي لو كان صحيحاً لما أسقط فرض الجمعة[1]، ولعله كان مسافراً فلم تكن الجمعة واجبة عليه، والله أعلم.

قال أبو المُظَفَّر: وأصابني قُولَنْج عانيتُ منه شِدَّة، فَدَخَلَ عليَّ أبو عمر، وبيده خَرُّوب شامي مدقوق، فقال: استَفَّ هذا. كان عندي جماعةٌ فقالوا: هذا يزيد القولنج ويضره! فما التفتُّ إلى قولهم، وأخذته من يده، فأَكَلْتُهُ، فبرأت في الحال[٢].

٧٣ قال: وحكى الجمال البصراوي الواعظ قال: أصابني قُولَنْج في رمضان، فاجتهدوا بي أن أفطر، فلم أفعل، وصَعِدْتُ إلى قاسيون، فقعدت موضعَ الجامع اليوم، وإذا أنا بالشيخ أبي عمر قد أقبل من الجبل، وبيده حشيشةٌ، فقال: شُمَّ هذه تنفَعْك. فأخذتُها وشممتُها، فبرأت[٣].

قال: وجاءه رجل مغربي، فقرأ عليه القُرْآن، ثم غاب عنه مُدَّة، وعاد فلازمه. فَسُئِلَ عن ذلك، فقال: دخلتُ ديار بكر، فأقمت عند شيخٍ له زاوية وتلامذة، فبينا هو ذاتَ يومٍ جالسٌ بكى بكاءً شديداً، وأُغمي عليه، ثم أفاق، وقال: ماتَ القُطْب السَّاعة، وقد أقيم أبو عمر شيخ الصَّالحية مقامه. قال: فقلتُ له: ذاك شيخي. قال: فأيش قعودك ها هنا! قم فاذهبْ إليه، وسلِّمْ عليه عني، وقل له: لو أمكنني السَّعْي إليه لسعيتُ. ثم زوَّدني وسافرتُ[٤].

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٤) المصدر السالف.

قال أبو المظفر: وقلتُ له يوماً أول ما قدمتُ الشَّام، وما كان يرُدُّ أحداً في شفاعةٍ إلى مَنْ كان، وقد كَتَبَ ورقةً إلى الملك المُعَظَّم عيسى بن العادل، وقال فيها: إلى الولد المُعَظَّم. فقلتُ: كيف تكتب هذا والملك المعظم في الحقيقة هو الله تعالى؟ فتبسَّم، ورمى إليَّ الورقة، وقال: تَأَمَّلْها. وإذا به لما كتب المعظم كَسَرَ الظاء، فصار المُعَظِّم. وقال: لابُدَّ أن يكون يوماً قد عَظَّم الله تعالى. فتعجَّبْتُ من ورعه وتحفُّظه في منطقه عن مثل هذا[1].

قلتُ: وساعَدُه على تمشيةِ تلك الكسرة أَنَّ كلَّ مَنْ رآها يعتقد أنها للميم المستحقَّة للجَرِّ فلا ينكرها، وحَصَلَ له ما نواه، ونظيرُ هذا القَصْد ما يُروى عن سُفْيان الثَّوري أنه أنكر على ابن أبي ذئب ـ رحمهما الله ـ قوله للمنصور أبي جعفر في مخاطبته له: أنا أنصحُ لك من ابنك المَهْدي. وقال له: لِمَ قلتَ المهدي؟ فقال: يا أبا عبد الله، كلُّنا كان في المَهْد[2].

قال أبو المُظَفَّر: وقال أبو عمر يوماً للمبارز المعتمد: قد أكثرتُ عليك من الرِّقاع والشَّفاعات. فقال له: ربما تكتب إليَّ في حَقِّ أُناسٍ لا يستحقون الشَّفاعة، وأكره رَدَّ شفاعتك. فقال له الشيخ: أنا أقضي حقَّ مَنْ قصدني، وأنتَ إن شئت تقبل، وإن شئت فلا تقبل. فقال: ما أَرُدُّ ورقتك أبداً.

قال: وكان على مذهب السَّلَف الصَّالح، حَسَنَ العقيدة، متمسكاً بالكتاب والسُّنَّة والآثار المروية، ويمرُّها[3] كما جاءت من غير طَعْنٍ على أئمة الدِّين وعلماء المسلمين، وينهى عن صُحْبة المبتدعين، ويأمر بصحبة الصَّالحين.

وكان سببُ موته أنَّه حَضَرَ مجلسي بقاسيون في الجامع مع أخيه الموفَّق والعماد والجماعة، وكان قاعداً في الباب الكبير، وجرى الكلامُ في رؤية الله

---

(١) المصدر السالف.

(٢) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: في هذا ومثله إنما يلحظ العلمية لا الصفة.

(٣) في المطبوع: وغيرها، وهو تحريف.

تعالى ومشاهدته، واستغرقتُ في ذلك، وكان وقتاً عجيباً، وأبو عمر جالسٌ إلى جانب أخيه الموفق، فقام، وطَلَبَ بابَ الجامع ولم أره، فالتفتُّ، وإذا بين يديه شخصٌ يريد الخروج من الجامع، فصحتُ على الرجل: اقعد، فظنَّ أبو عمر أنني أخاطبه، فجلس على عَتَبَة بابِ الجامع الجوَّانية إلى أن فَرَغَ المجلس، ثم حُمِلَ إلى الدَّير، فكان آخرَ العهدِ به، وأقام أياماً مريضاً، ولم يترك شيئاً من أوراده. فلما كان عشية الاثنين ثامن عشري ربيع الأول جَمَعَ أهله، واستقبلَ القِبْلة، ووصَّاهم بتقوى الله، ومراقبته، وأمرهم بقراءة يسن، وكان آخر كلامِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، وتوفي رحمه الله، وغُسِل في وقت السَّحَر، ومَنْ وصل إلى الماء الذي غُسِّل به نَشَّف به النِّساءُ مقانعَهُنَّ، والرِّجالُ عمائِمَهُمْ، ولم يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ من القُضَاة، والأمراء، والعلماء، والأعيان، وعامة الخَلْق، وكان يوماً مشهوداً، ولما خرجوا بجنازته من الدَّير كان يوماً شديدَ الحَرِّ، فأقبلت غمامةٌ، فأظلَّتِ النَّاسَ إلى قبره، وكان يُسْمع منها دَوِيٌّ كدويِّ النَّحْلِ، ولولا المبارز المعتمد، والشُّجاع بن محارب، وشِبْلُ الدولة الحسامي ما وَصَلَ إلى قبره من كفنه شيء، ٧٤
وإنما أحاطوا به بالسُّيوف والدَّبابيس.

وكان قبل وفاته بليلة رأى إنسانٌ كأنَّ قاسيون قد وَقَعَ أو زال من مكانه، فأوَّلوه موته، ولما دُفِنَ رأى بعضُ الصَّالحين في منامه تلك الليلة النبيَّ ﷺ وهو يقول: مَنْ زار أبا عمر ليلة الجمعة فكأنَّما رأى الكعبة، فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه. وماتَ عن ثمانين سنة، ولم يخلِّف ديناراً ولا دِرْهماً، ولا قليلاً ولا كثيراً.

قال: وعلمني دعاء السَّنة، فقال: ما زال مشايخنا يواظبون على هذا الدُّعاء في أول كلِّ سنة وآخرها، وما فاتني طول عمري؛ فأما أول السنة فإنك تقول:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢

اللهم أنتَ الأبدي القديم، وهذه سَنَةٌ جديدة، أسألك فيها العِصْمةَ من الشَّيطان وأوليائه، والعَوْنَ على هذه النفس الأَمَّارة بالسُّوء، والاشتغال بما يقربني إليك، يا ذا الجلالِ والإكرام. فإنَّ الشيطانَ يقول: قد آيسنا مِنْ نفسه فيما بقي. ويوكل الله به ملكين يحرسانه.

وأما دعاء آخر السنة، فإنك تقول في آخر يوم من أيام السَّنة: اللهم ما عمِلْتُ في هذه السنة مما نهيتني عنه، ولم تَرْضَهُ ولم تنسه، وحَلُمْتَ عني بعد قُدْرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى التوبة من بعد جرأتي على معصيتك، فإني أستغفرك منه، فاغفر لي، وما عملت فيها مما ترضاه، ووعدتني عليه الثواب، فأسألك أن تتقبله مني، ولا تقطع رجائي منك يا كريم.

قال: فإنَّ الشيطان يقول: تَعِبْنا معه طول السَّنة، فأفسد فِعْلَنَا في ساعة[1].

قال: وأنشدني أبو عمر لنفسه:

ألـم يـكُ مَـنْـهـاةٌ[2] عـنِ الـلَّـهْـو أنـنـي ... بدا ليَ شيبُ الرَّأسِ والضَّعْفُ والألمْ

ألـمَّ بيَ الـخَـطْـبُ الـذي لو بَـكِـيـتُـهُ ... حـيـاتيَ حـتَّـى يـنـفَـدَ الـدَّمْـعُ لـم أُلَـمْ

قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

أوصـيـكُـمُ بـالـقَـوْلِ فـي الـقُـرْآنِ ... بـقـولِ أَهْـلِ الـحـقِّ والإتـقـانِ

لـيـسَ بـمـخـلـوقٍ ولا بـفـانِ ... لـكـنْ كـلامُ الـمَـلِـكِ الـدَّيَّـانِ

آيـاتُـهُ مُـشْـرِقَـةُ الـمـعـانـي ... مـتـلـوَّةٌ لـلـه بـالـلِّـسـانِ

مـحـفـوظـةٌ فـي الـصَّـدْرِ والـجَـنَـانِ ... مـكـتـوبـةٌ فـي الـصُّـحْـفِ بـالـبَـنَـانِ

والـقَـوْلُ فـي الـصِّـفـاتِ يـا إخـوانـي ... كـالـذَّاتِ والـعِـلْـمِ مَـعَ الـبـيـانِ

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٢) في النسخ الخطية: ملهاة، والمثبت من «مرآة الزمان»، وفيه كذلك: عن الزَّهْو.

إمْـرَارُهـا[١] مِـنْ غـيـرِ مـا كُـفْـرانِ مِـنْ غـيـرِ تـشـبـيـهٍ ولا عُـدْوانِ[٢][٣]

وكان له من الأولاد الذكور: عمر ـ والد أحمد بن عمر ـ وبه كني أبو عمر، والشَّرف عبد الله والد العِزّ، وأحمد، وعبد الرحمن، الباقي منهم في هذا الزمان ـ وهو سنة تسع وخمسين وست مئة[٤] ـ أصغرهم شمسُ الدِّين عبد الرحمن؛ خطيب جامع الجبل بعد أخيه الشرف عبد الله.

قال: وكان لأبي عمر بناتٌ كما قال الله تعالى: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾[٥] الآية.

ومما رُثي به أبو عمر قول محمد بن سَعْد المقدسي:

أَبَـعْـدَ أَنْ فَـقَـدَتْ عـيـنـي أبـا عُـمَـرٍ يَـضُـمُّـنـي فـي بـقـايـا الـعُـمْـرِ عُـمْـرانُ
مـا لـلـمـسـاجِـدِ مـنـه الـيـومَ مُـقْـفِـرَةً كـأنَّـهـا بـعـدَ ذاكَ الـجَـمْـعِ قِـيْـعـانُ
٧٥ مـا لـلـمـحـاريـبِ بـعـد الأُنْـسِ مُـوْحِـشَـةً كـأنَّ لـم يُـتْـلَ فـيـهـا الـدَّهْـرَ قُـرْآنُ
تـبـكـي عـلـيـه عُـيـونُ الـنَّـاسِ قـاطـبَـةً إذْ كـانَ فـي كـلِّ عـيـنٍ مـنـه إنـسـانُ
وكـانَ فـي كـلِّ قـلـبٍ مـنـه نـورُ هـدى فـصـارَ فـي كـلِّ قَـلْـبٍ مـنـه نـيـرانُ
وكـلُّ حـيٍّ رأيـنـا فَـهْـوَ ذو أَسَـفٍ وكـلُّ مَـيْـتٍ رآه فَـهْـوَ فَـرْحـانُ
لا زالَ يَـسْـقـي ضـريـحـاً أنـتَ سـاكِـنُـهُ سـحـائِـبٌ غَـيْـثُـهـا عَـفْـوٌ وغُـفْـرانُ
كـم مَـيِّـتٍ ذِكْـرُهُ حـيٌّ ومُـتَّـصِـفٍ بـالـحـيِّ مَـيْـتٌ لـه الأثـوابُ أَكْـفـانُ[٦]

قلتُ: وقبرُهُ في طريق مغارةِ الجوع، في الزُّقاق المقابل لدير الحَوْراني،

(١) في (ب): إقرارها. وقد تحرفت في المطبوع إلى إسرارها!
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: ولا عطلان!
(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).
(٤) هذا تاريخ كتابة القسم الأول من «المذيل على الروضتين»، انظر مقدمتي لهذا الكتاب.
(٥) سورة التحريم، الآية: ٥، وانظر «مرآة الزمان».
(٦) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

على يمين المارِّ إلى المغارة، وإلى جانبه قبرُ أبيه الشيخ أحمد رحمه الله، وأول ما وقفتُ على قبره وزُرْتُهُ وجدتُ بتوفيق الله تعالى رِقَّةً عظيمةً، وبكاء صالحاً، وكان معي رفيقٌ لي، وهو الذي عَرَّفني قبره، وَجَدَ أيضاً مِثْلَ ذلك.

وأخبرني بعض أصحابنا الثقات أنَّه رأى الإمام الشافعيَّ رحمه الله في المنام، فسأله: إلى أين يمضي؟ فقال: أزور أحمد ابنَ حنبل. قال: فاتَّبعته أنظر ماذا يَصْنع، فدَخَلَ داراً، فسألت: لمن هي؟ فقيل: للشيخ أبي عمر. رَحِمَ اللهُ الجميع.

وفيها اتفقتِ الملوكُ على العادل، منهم سُلْطان الرُّوم، وصاحب المَوْصِل. وصاحب إرْبل، وصاحب حَلَب، وصاحب الجزيرة، وصاحب سِنْجار، ومن تابعهم، اتفقوا على مشاقة العادل، وأن تكون الخُطْبة بالسَّلْطنة لصاحب الرُّوم خُسْرو شاه بن قَلِيْج أرسلان، وأرسلوا إلى الكُرْج بالخروج إلى جهة خِلاط، وخَرَجَ كلٌّ منهم بعساكره إلى حدود بلاده مُجْمِعاً على الاجتماع بصاحبه على قَصْدِ الملك العادل، وإيجافهم عليه بخيلهم ورَجْلهم، وكُتْبهم ورُسْلهم، وهو مقيمٌ ثابتٌ بظاهر حَرَّان، وعنده صِهْرُه صاحبُ آمد ابن قرا رسلان، ونَزَلَ الكُرْج على خِلاط سابع عشر ربيع الآخر مع مقدَّمهم إيواني، وصاحِبُها يومئذٍ الأوحدُ أيوبُ بن العادل، فزحفوا على البلد بين الصَّلاتين من يومِ الاثنين تاسع عشره، وهجموا الرَّبَض، وقدَّر الله تعالى وقوعَ مقدَّمهم إيواني بفرسه في حُفْرةٍ بالرَّبَض، وهو سكران، فأخذ أسيراً، وعَرَفه ياقوت الخادم الملطي، فحمله إلى الأوحد، فأكرمه، وخَلَع عليه، والتمس منه صَدَّ الكُرْج عن البلد، فاستدعى إليه منهم مَنْ يثق به ليشاهدَ أنه سالم، وأمرهم بالرَّحيل عن خِلاط، فرحلوا من ساعتهم نحو بلادهم، لم يجسروا على مخالفته، ولا تعرضوا لقريةٍ مِنْ عملها بأذيَّةٍ.

وقد كان مَنْ بخِلاط أيقن بذهابِ الأَنْفُس والأموال، فدفَعَ الله عنهم،

وبادر الأوحد بإطلاع والده العادل على ما مَنَحَه الله من الظَّفَر، فكادَ يَذْهَلُ فرحاً، واستطارتِ الأخبارُ بذلك شرقاً وغرباً، وعَلِمَ مَنْ كان مُجْمِعاً على قَصْدِ العادل من الملوك بالحالة، فتفرَّقت آراؤهم، وبادر كلٌّ منهم بالرُّسُل إليه[1] يتنصَّل مما نُسِبَ إليه[1]، ويحيلُ على غيره، ويبذل الطَّاعة، فَقَبِلَ أعذارهم، وعَقَدَ معهم صُلْحاً في جُمادى الأولى.

ورَغِبَ إيواني إلى الأوحد في أن يفدي نفسه، وبذل ثمانين ألف دينار، وإطلاق ألفي أسيرٍ مسلمين، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لأعمال خِلاط كان تَغَلَّبَ عليها، وتزويج بنت الملكة بالأوحد، وتزويج ابنته لأخي الأوحد من أمه، وأن تكون الكُرْج معه أبداً سِلْماً، لا يؤذون شيئاً من أعماله، ومتى قصدَ بلادَه عدوٌّ سارعوا إلى دَفْعه عنها. فاستأذن الأوحد والدَه العادلَ في ذلك، فأمضاه، وأمر بإطلاقه بعد الاستيثاق منه بالأيمان والرِّهان، ففعل، وأطلقه في ثاني عشر جمادى الآخرة.

٧٦ قال العِزُّ بنُ تاج الأمناء: ومن أعجبِ ما سَمِعْتُه في هذه القضية أن إيواني لما نَزَلَ بخِلاط، قال له منجِّمه في بُكْرة يومه: إنَّك ستدخل إلى قلعة خِلاط قريب العَصْر من يومك، في زِيّ غير زِيِّك[2]. فتخيَّل قوله في نفسه، وشَرِبَ، فلما سَكِرَ ذكر قولَ المنجِّم ـ وكان قسيسه ـ فركب لوقته، وزحف، فكان من أمره ما قدَّر الله تعالى، وأُدخل القلعة وقتَ العصر أسيراً، لابساً خِلْعة الأوحد، فاعجب لهذا الاتِّفاق.

ولما وَصَلَ إلى بلاده عاد إلى ما كان عليه من التقدمة على عساكر الكُرْج، وحَمَلَ بعضَ ما كان بَذَلَ إلى الأوحد، وسومح بالباقي. ثم لما أنْ صارت خلاط للأشرف تزوج بابنته.

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٢) في (س): زيك هذا.

وفي ثاني شعبان كان إملاكُ نور الدِّين رسلان شاه صاحب المَوْصِل على ابنة العادل، وعَقَدَ العَقْدَ بقلعة دمشق على صَدَاقٍ ثلاثين ألف دينار، ثم وصَلَ الخبر بوفاة نور الدين هذا بالمَوْصِل في آخر رجب، وقام ولده عِزُّ الدين مسعود بالأمر، فكان العقدُ مع وكيله بعد موته، ولم يُعْلم بذلك.

وفي الخامس والعشرين من شعبان ظهرتْ عملة ابن السَّلار على المعروف بابن الدُّخَيْنة بعد طولِ مُكْثِهِ في السِّجْن، وموت زوجته تحت الضَّرْبِ، وعَصْره دفوعاً وعَصْر بناته وابنه، فلم يقروا بشيء، وكان أكثَرَ الذهب مدفوناً تحته بسجن القلعة، وانكشفَ أمرها بأيسر حال من جهة منصور بن السلار، فإنه كان الباحث عنها بسبب أنه كان حُبِسَ عليها، واتُّهم بها، وجُمع من المبلغ إلى آخر النهار عشرة آلاف ومئتا[1] دينار. ثم تحصَّل فيما بعد بقية مبلغها، ثم ماتَ ابن الدُّخَيْنة في الحبس، وصُلِبَ ميتاً بقيسارية الفرش يوم السبت الثَّامن والعشرين من رجب[2]، وأنا رأيتُهُ مصلوباً وعمري يومئذٍ ثماني سنين ودخلتُ في التاسعة، اللهم استر في الدُّنيا والآخرة[3].

وفيها في سابع شَوَّال شُرِعَ في عمارة المَصَلَّى[4] بظاهر دمشق المجاور لمسجد النَّارنج برسم صلاة العيدين، وهُدِمَ حائطه القبلي ومنبره ليجدَّد، فبني بغير سقفٍ، بل أُنهيت حيطانه من الجوانب الأربعة، وفُتِحَتْ له الأبواب[5] من كلِّ جانب[5]، وشُرِّفت أعالي حوائطه، وبُني له مِنْبرٌ كبير عالي بجانب

(١) قوله: ومئتا، ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٢) يفهم من سياق الخبر أن صلب ابن الدُّخينة كان بعد انكشاف أمر العملة.. فإن كان ذلك كذلك فثمة اضطراب في ذكر الشهر، حيث ذكر في صدر الخبر أن انكشاف أمر العملة في شعبان، ثم صلب في رجب، والصواب تقديم رجب، والله أعلم.

(٣) انظر ما سلف من هذا الخبر ص ١٦٢ من هذا الجزء.

(٤) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٥ ـ ٥) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

المحراب، وفوقه قُبَّة مبيَّضة، وتحت أرض القُبَّة خِلْو إلى الأرض، يتَّصِلُ به الصف الأول خلفَ الإمام، وكان يُرْكَزُ العَلَمان الأسودان في أعلى الدَّرَج، ويقفُ الخطيب بينهما، فيراه جميع مَنْ في المُصَلَّى من كلِّ جانب، وكان بناءُ حيطانه وإغلاقُ أبوابه صيانةً له مما كان يوضع في أرضه من الدوابِّ الميتة، والعظام، والأرواث، ولاسيما مؤخر المُصَلَّى من شامه. ثم إنه بعد ذلك في سنةِ ثلاثَ عشرة وست مئة ترتَّبَ الخطيبُ لإقامة الجمعة فيه سابعَ عشر رمضان بعد أن جُدِّدَ في قِبْلته رواقان، سُقِفَ أحدُهما ولم يتمَّمِ الآخر لوفاة الملك العادل الآمر بذلك، ولَزِمَ من ذلك خَرَابُ ذلك المِنْبر، فَجُعِلَ له منبرُ خَشَبٍ كالذي في سائر الجوامع، ورُتِّبَ فيه إمامٌ راتب يُصَلِّي الجمعة وغيرَها.

وفيها في حادي عشر شَوَّال جُدِّدت أبوابُ الجامع[1] الغربية من جهة باب البريد بالنُّحاس الأصفر، ورُكِّبت.

وفي سادس عشر شوال شُرِعَ في إصلاح الفَوَّارة بجيرون، وعُمِلَ الشَّاذروان والبركة بساحتها، واتُّخِذَ فيها مسجدٌ بإمامٍ راتب، وأوَّلُ من ترتَّب فيه بأمر الصَّاحبِ الوزير ابن شُكْر النَّفيسُ المِصْري، كان يلقَّبُ بوق الجامع لقوَّة صوته، وكان قرأ على الشيخ أبي منصور الضرير[2] المتصدِّر بجامع دمشق، وكان حسنَ الصَّوت، وكنتُ أقرأ عليه في صباي، وكان يجتمع النَّاسُ إذا قرأ النَّفيسُ عليه كثيراً.

٧٧ قال العِزُّ بنُ تاج الأمناء: وفي العشر الأوسط من ذي الحِجَّة كان الابتداءُ

(١) في (ك) و(ع) و(س): جامع دمشق.

(٢) هو من شيوخ أبي شامة كما صرح بذلك، وقد توفي سنة (٦٣١ هـ)، ولم يترجم له في وفياتها في «المذيل»، ولعله سها عنه، انظر ترجمته في تاريخ الإسلام (ت ٦٣، وفيات سنة ٦٣١هـ)، والوافي بالوفيات: ٢٥/ ٢٨١، ونكت الهميان: ٢٨٧، وسيأتي ذكره ص ١٣٥، ١٧٤ من الجزء الثاني.

بعمارة حِصْن الطُّور بتولي الملك المعظم واقتراحِهِ، ومساعدةِ والده له برجالِ العَسْكر ودوابِّه نُوَباً.

وفي العشر الآخر من ذي الحِجَّة توجَّه البال القبرسي[١] ـ لعنه الله ـ في مراكب مِنْ عكا إلى الدِّيار المِصْرية، فوصَلَ إلى ساحل دمياط، فأرسى غربيّها، وسَلَكَ في البر بخيله ورَجْله إلى القرية المعروفة بنورة، وهي على ساحل النِّيل، فكبسها سَحَراً، وسبى أهلَها، وحاز ذخائرها، وعاد على إثره في بقية يومه إلى مراكبه. وبلغَ إلى دمياط خبرُه، فبادر بالرِّجال إليه، فألفاه قد حَصَلَ بظهر البحر في مراكبه، وامتنع عن طالبه، ووصل بالأسرى والغنائم إلى عكا، وقد نال بفعلته هذه والتي قبلها نوبة فوَّةٍ من الدِّيار المِصْرية في سنة ست مئة[٢] ما لم يَنَلْه أحدٌ من الفرنج قَبْلَه، ولا أقدَمَ إقدامه.

قال: وفي عاشر المحرَّم وصل حسن الحجَّار من مكَّة سابقاً للحاج، وأخبر بأن قَتَادة صاحبَ مكة قتل المعروف بعبد الله الأسير، ثم وصل كتابٌ من مرزوق الطشتدار الأسدي في الخامس والعشرين من محرَّم ـ وكان حاجاً ـ يخبر فيه بأن قتادة قَتَلَ إمام الحنفية وإمام الشَّافعية بمكة، ونهب الحاجَّ اليمني. ثم وصل الحُجَّاج إلى دمشق صحبة ابن محارب يوم الاثنين ثاني صفر.

وفي عاشر صَفَر توفي المخلِّص بلدق الزَّاهد المعظمي بدمشق.

وفيها توفي مُظَفَّر بن شاشير الواعظ الصُّوفي البغدادي[٣].

---

(١) هو: والتر أف مونتبليارد Walter of Montbeliard
وكانت قبرص تحت حكم الفرنج، وكان والتر هذا الوصي السَّابق على عرشها. انظر «الحملة الصليبية الخامسة» لمحمود سعيد عمران: ص ١٠٣.

(٢) انظر ص ١٦٢ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/٢٠٨، تاريخ الإسلام (ت ٣٧٠، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

ولد سنة ثلاثٍ وعشرين وخمس مئة، وكان يعظ في الأعزية، وتُرَب الرُّصافة، والمساجد، والقُرى. وكان مطبوعاً كيِّساً ظريفاً، وكان يسكن دار العميد عند الصُّوفية، فتوفي في المحرَّم، ودفن عند قبر معروف الكَرْخي.

سمع أبا الوقت وطبقته، جلس يوماً في مسجد بالقرية، فقام إليه إنسان، فقال له: أنا مريض وجائع. فقال له: احمد رَبَّك، فقد عُوفيت.

واجتاز يوماً على قَصَّاب يبيع لحماً هزيلاً، والقصاب ينادي: أين مَنْ حلف لا يُغْبن؟ فقال له ابنُ شاشير: حتى تُحْنِثَهُ!

وقال: خرجتُ يوماً إلى بَعْقُوبا، فتكلمت بها في الليل في جامعها، فقام واحدٌ، فقال: عندي للشيخ نصفية. وقال آخر: عندي نصفية، فعدُّوا نحو خمسين نصفية. فقلتُ في نفسي: استغنيت الليلة. فلما أصبحنا، وإذا في زاوية المسجد مقدار كارة شعير. فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: النصافي كل كيل شعير نصفية.

قال: وجلستُ بباجِسْرى، فجمعوا شيئاً ما أعلم ما هو، فلما أصبحنا إذا في جانبِ المسجد صوف الجاموس وقرونه، فقام واحدٌ ينادي عليه: مَنْ يشتري صوف الشيخ وقرونه. فقلتُ: رَدُّوا صوفكم وقرونكم إليكم.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وست مئة

والسُّلْطان العادل مخيِّم بالعساكر على الطُّور، وابنه المُعَظَّم مباشرٌ لعمارة حِصْنه، مجتهد في إدارته حوشاً.

ووصل الخبر من جهة طرابُلُس بأن الأخبار تتابعتْ إليها في البحر من
٧٨ الغَرْب بأنَّ ابن عبدَ المؤمن كَسَرَ الفرنج بأرضِ طُلَيْطُلة كسرةً عظيمة، أباد فيها خَلْقاً منهم، ونازل طليطلة، وربما فتحها.

وفي ليلة السَّابع والعشرين من ذي القَعْدة حدثت زَلْزَلة عظيمة هَدَمَتْ